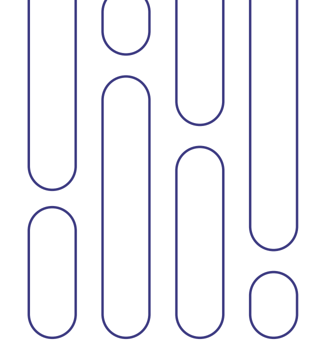
دراســـة

الحوزة و«كورونا»
سلوك النُّخَب الدينية الإيرانية مع الأزمـــة

02 يوليو 2020

د. محمد السيد الصياد
باحث بالمعهد الدولي للدراسات الإيرانية (رصانة)





المحتويـــات



المقدمة

تُعتبَر دراسة سلوك المؤسَّسات الدينية ومواقفِها تجاهَ أزمات الكوارث والأوبئة، كشفًا عن العقل المذهبي ومعتركَ الفكر الديني، وكيفية تعاطيهما مع المستجدَّات والنوازل، ما من شأنه أن يساعد في إدراك طرائق تفكير النُّخَب الدينية القيِّمة على المؤسسات الدينية الرسمية، الذين هم جزءٌ من إدارة المشهد الديني والثقافي والسياسي، وتوجيه الرأي العام في الدولة الإيرانية.

لذا تمثِّل أزمة كورونا مرحلةً مهمَّة للوقوف على سلوك رجال الدين، وكيفية تفاعُلهم معها، ومدى العلاقة بين الديني/ المذهبي والسياسي.

وتهدُف الدراسة للوصول إلى معرفة أبعاد تديين الأزمة، وتسييسها، وربطها بهاجس تعزيز الشرعية المذهبية والسياسية، وتحاولَ الإجابة على عدد من التساؤلات المتعلِّقة بتعاطي النُّخَب الدينية مع ما هو ولائيٌ، وما هو أوليٌّ وثانوي، ومن ثمَّ أسباب سخط السُلطة ممن ناهضوا قراراتها الشعائرية إبان الأزمة، وكذلك رؤية السُلطة للمراجع الذين لا يؤمنون بالولائي، أو بعدم إلزاميته في الشأن العام، لاندراجه عندهم إمّا تحتَ نظرياتَ مُغايرة كشورى الفُقهاء، وإمّا تحتَ إطار ومدخلِ الدولة المدنيةً، حسب اختلاف المراجع ومرتكزاتهم الفلسفية.

وتقف الدراسة عند السؤال الفلسفي المركزي الذي روَّجه المراجع في مقولاتهم الموجَّهة إلى العامَّة، بخصوص مثالية النموذج الفلسفي الإيراني قُبال النموذج الفلسفي الغربي، سعيًا لتفكيكه وإدراك أسسِه وانعكاساتِه السياسية والمذهبية.

أوّلًا: كورونا واستهدافُ الدولة الإيرانية

ذهبت النُّخبة الدينية الحاكمة إلى أنّ فيروس كورونا تمّ تخليقُه بيولوجيًّا، من قِوى الاستكبار العالمي، من أجل استهداف إيران والثورة «الإسلامية»، وبدأت هذه المقولة من رأس هرم السُلطة الدينية والسياسية المرشد علي خامنئي، فوفقًا لقوله فإنّ الأدلَّة تُشير إلى احتمالية أن يكون فيروس كورونا هجومًا بيولوجيًّا مُتعمَّدًا[1].

ثُمّ تلقَّفت النُّخَب الدينية والإعلامية مقولةَ المرشد، وعملت على ذيوعها باعتبارها أمرًا بديهيًا، وليس افتراضًا قابلًا للتشكيك؛ فردَّد حُجّة الإسلام إبراهيم رئيسي مقولةَ الهجوم البيولوجي،

(1) مهر للأنباء، قائد الثورة يلوح باحتمال هجوم بيولوجي، 13 مارس 2020م. https://bit.ly/3ch65Ci

وطالبَ بتعزيز قُدرات الدفاع البيولوجية في البلاد[1]. وعلى نفس النهج، لم يستبعِد آية الله خاتمي تخليقَ الفيروس بيولوجيًّا، وصرَّح بأنّ الأمريكيين وراءه: «لا يمكن استبعادُ إمكانية الحرب البيولوجية في تفشِّي فيروس كورونا، وبالفعل فإنَّ الولايات المتحدة متّهمةٌ في العالم حاليًّا، وهذا الاتّهام لم يوجَّه إليها من قِبَل إيران فقط، بل عُلماء العالم أثاروا هذه القضية، وسيتمّ كشفُ الحقيقة في المستقبل»[2]. وفي نفس المعنى، اعتبرَ آية الله حيدري، أنّ هناك نظريتين بخصوص بداية الفيروس، الأولى أنّه طبيعي، والثانية أنّه مُخلَّقٌ بيولوجيًّا. ثمّ رجَّح الافتراضَ الثاني، وعزا تخليقَ الفيروس إلى قوى الاستكبار العالمي بُغية مواجهة الثورة: «وإذا قَبِلنا الفرضيةَ الثانية، فإنّ الهدف الرئيسي لهذه الحرب هو مواجهة الثورة الإسلامية في إيران»[3]؛ ويرجِّح مهدي طائب تخليقَ الفيروس، من أجل استهداف إيران والثورة «الإسلامية»[4].

وهكذا تناغمت مقولاتُ رجال الدين، واتّفقت على ترويج دعوى تخليق الفيروس أمريكيًّا من أجل استهداف إيران وثورتهَا.

والمفارَقة أنّ مقولات النُّخَب الدينية الإيرانية متماهيةٌ مع مزاعم صينية في نفس الصدد، دونَ أدلّةٍ علميةٍ قاطِعة، بل ثمَّةَ مؤشِّراتٍ

(1) مهر للأنباء، رئيس السلطة القضائية: تعزيز قطاع الدفاع البيولوجي في البلاد اليوم أمر لا بدّ منه، 16 مارس 2020م.
https://bit.ly/35H3QWr

(2) وكالة رسا للأنباء، آية الله خاتمي: لا يمكن استبعاد إمكانية الحرب البيولوجية في تفشِّي فيروس كورونا، 19 أبريل 2020م. https://bit.ly/2YxD5SH

(3) وكالة رسا للأنباء، آية الله حيدري: أعداء الثورة والإسلام يبحثون دائمًا عن كلّ فرصة لإلحاق الضرر بالثورة الإسلامية، 20 أبريل 2020م. https://bit.ly/3ddFrtW

(4) انتخاب، مهدی طائب: کم کم کشف می شود ویروس کرونا علیه ماست / خدا می داند برای ما با این ویروس چه در سر داشتند / بعدها معلوم خواهد شد خداوند چگونه مکر اینها را به خودشان برگردانده است، 18 مايو 2020م.
https://bit.ly/2AcMjtK

تـدُلّ علـى العكـس، إذ وجَّهـت بعـضُ القِـوى الغربيـة اتّهامـاتٍ إلـى الصيـن بالتسـبُّب فـي انتشـار الفيـروس.

وانتقـدَ بعـضُ الإصلاحييـن تماهـيَ التيّـار المحافـظ مـع المزاعـم الصينيـة، وفـي رأي هـؤلاء الإصلاحييـن كيـف للنُّخبـة الدينيـة التـي طالمـا هتفـت باسـتقلالية القـرار الإيرانـي «لا شـرقية ولا غربيـة»[1]، أن تنحنـي ناحيـةَ الشـرق؛ مـا أفقـدَ القـرار الرسـمي الاسـتقلاليةَ المنشـودة! وحسـبَ بعـضِ الإصلاحييـن، فقـد تـمّ الدفـاع عـن إدارة الصيـن للأزمـة: «لدرجـة بـدا معهـا أنّ مفهومَ النفوذ الصيني فـي إيران أمـرٌ طبيعـيٌ وجلـيّ، وأنَّ مبـادئ السياسـة الخارجيـة لإيـرانٍ تُنتهـك وتُزعـزعُ بانتقـاد أداء الصيـن!»، ووصَفـت هـذه الفئـة مـن الأُصولييـن انتقـادَ متحـدِّث وزارة الصحّـة للصيـن بأنّـه «مُكلِـف: وتعاملـوا معـه بحـدَّة»[2]. وذهـب المحافظـون إلـى مـا هـو أبعـد، فقـد بـرَّر بعضهـم اضطهـادَ السُـلطات الصينيـة للإيغـور باعتبارهـم «دواعـش» يجـب التصـدِّي لهـم[3].

هـذا كلّـه يُنهِـي عمليًـا مقولـةَ الخمينـي التـي اتُّخـذت شـعارًا منـذ بدايـات الثـورة وحتّـى اليـوم: «لا شـرقية ولا غربيـة»، ومقولتـه: «الإسـلام ينتمـي إلـى المسـتضعفين لا إلـى المسـتكبِرين»[4]، وباتـت مِثـلُ تلـك الشـعارات منحصـرةً فـي الاسـتهلاك المحلّـي فقـط، بُغيـة حَشـدِ الأتبـاع، وتمايُـز المشـروع المذهبـي.

وحاصـل القـول إنّ تضخيـم رجـال الديـن لمسـألة التخليـق البيولوجـي للفيـروس، كان بمثابـة ردّ فعـل علـى تلـك الاتّهامـات التـي وُجِّهـت إلـى الجماعـة العلمائيـة، بـأنّ مواقفَهُـم المَتمثِّلـة فـي رفض إغـلاق العتبات

(1) كان هتـاف «لا شـرقية ولا غربيـة» مـن مقـولات الخمينـي التـي تـمّ تبنّيهـا لاحقًـا كشـعارات للهتـاف فـي مظاهـرات الشـوارع أثنـاء الثـورة. راجـع: أرونـد إبراهيميـان، تاريـخ إيـران الحديثـة، ص204.

(2) أحمد زيدآبادي، اصولگرايان، چين و معناي استقلال!، 25 أبريل 2020م، https://bit.ly/3ekolGD

(3) المرجع السابق.

(4) أروند إبراهيميان، تاريخ إيران الحديثة، ص204.

والمدن الدينية، سببٌ رئيسي في انتشار الفيروس؛ وأشار آية اللّٰه حيدري إلى هذا المعنى، واعتبرَ أنَّ هدفَ قوى الاستكبار العالمي تهديم مدينة قُم باعتبارها عاصمةَ الثورة الإسلامية، فقال: «إنَّ قُم هي عاصمةُ الثورة الإسلامية ومركزها، وهي المرجع والملاذ الروحي والديني لأتباع هذا الخطّ المعادي للاستكبار العالمي، وهي الداعم الأساسي للمقاومة الإسلامية، لذلك شاهدنا كيف استثمرَ الأعداءُ هذه الفرصة -أي أزمةَ كورونا- للإضرار بسمعة قُم المقدَّسة»[1]. ثُمّ بعبارةٍ صريحة رفعُ الملام عن قُم ورجالَ الدين في قُم: «إنّ الأبواقَ الإعلاميةَ العالمية اَستغلّت الفُرصةَ تحت ذريعة كورونا، لتشوية صورة قُم ورجال الدين والمرجعية الدينية، وأعلنت بشكلٍ كاذب أنّ مصدرَ فيروس كورونا هي قُم، وأنّه إذا تمّ عزلُ قُم، فلن يتأثّر الشعبُ الإيراني»[2].

ثانيًّا: الحُلم المُتوهَّم.. الفلسفةُ الإيرانية كبديل

وجَّهت النُّخّب الدينية خطابًا إلى الداخل الإيراني، خاصّةً التكتُّلات المذهبية والولائية، مفادُه أنّ لحظة كورونا هي اللحظة المناسبة لصعود النموذجِ الفلسفي الإيراني عالميًّا، كبديلٍ للنموذج الغربي، الذي أخفَقَ وفقًا لرؤيتِهم.

وبغضِّ النظر عن نوايا رجال الدين من تضخيمِ النموذج القومي على حساب النموذج الغربي، كأن تكونَ موجَّهةً لتعزيز شرعية النظام المذهبية، أو أنّ تِلك القراءة هي غاية إدراك الولائيين للمشهد الفلسفي الغربي، بغضّ النظر عن ذلك، فإنّ تلك الأزمة بمفردها لا يُمكن الاستدلال بها على أحقّية نموذجٍ، وصلاحيته،

---

(1) وكالة رسا للأنباء، آية الله حيدري: أعداء الثورة والإسلام يبحثون دائمًا عن كلّ فرصة لإلحاق الضرر بالثورة الإسلامية، 20 أبريل 2020م. https://bit.ly/3ddFrtW

(2) المرجع السابق.

فضلًا عن سقوط نماذج وصعود أُخرى، على غِرار ما فعل **المرشد الإيراني** الذي ارتأى أنّ الثقافة الإيرانية أثبتَت حضورها قُبال النموذج الغربي، بسبب الأزمة الأخيرة، وقال: «لحُسن الحظّ، فإنّ الشعور بالفكر الإسلامي وسلسلة القِيَم الإسلامية قويٌّ وراسخٌ للغاية عند الشعب، خلافًا للرغبات والأشخاص الذي عملوا في العقدين الأخيرين على تحقير **الثقافة الإيرانية الإسلامية**، وتوجيه الشعب صوبَ نمطِ الحياة الغربية، وفي مقابل ذلك **كشفت الثقافة والحضارة الغربية عن طبيعتها**، ومنها ما حدَثَ في أمريكا وأوروبا، وعَرَض التلفزيونُ بعضًا منها، ولم يعرض البعضَ الآخر، حيث تُصادر حكومةٌ أقنعةَ وقفازاتِ دولة أُخرى وشعب آخر، أو يقومُ الناسُ بإخلاء الأسواقِ من البَضاعةً يوميًّا في ظَرف ساعات قليلة»[1].

واللافت أنّه لا يتكَلَّم عن الدول وحدها، بل يتكلَّم عن الدول والأفراد، فالنموذج الكامن في عقله، أنّ الدولةَ هي المسؤولة عن ثقافة شعبها وتشكّلاته الأخلاقية، ومن هنا بدا ذلك الحُكم على المجتمعات الغربية لا على الدول فحسب، لذا حَكَم على الغرب كُلّه بأنّه: «يتمتَّع بروح البربرية، لكوننا ندركُ أنّ التعطُّر وارتداءَ ربطةِ العُنق والتأنُّق لا ينفي تلك الحقيقة، وهذا ما اعترفوا به بأنفسِهم»[2]. ويؤكِّد صراحةً في مناسبة أُخرى، فَشَل الفلسفة الاجتماعية الغربية بسبب أزمة كوروناً: «إنّ الغربَ فَشِل في مجالاتِ الإدارة والفلسفة الاجتماعية والأخلاق، خلال مواجهتِه

(1) خبر اون لاين، كنايه‌هاى صريح رهبرى به آمريكايى‌ها..، تاريخ الاطلاع: 06 مايو 2020م. https://bit.ly/3c9b08h

(2) المرجع السابق. وذلك التوسُّع في مسألة الولاية لتشمل كلّ ما هو ديني وثقافي، أقلق بعض الفلاسفة الإصلاحيين كملكيان ومجتهد الشبستري وغيرهما، ممن رأوا أنّ ذلك مدخل للتنظير لأعمال العنف، وتجويز استعمال آليات القهر من قبل الدولة على الناس. راجع: محمد مجتهد الشبستري، نقد القراءة الرسمية للدين، ص 46-45، ومصطفى ملكيان، مقالات ومقولات في الفلسفة والدين والحياة، ص155.

لفيـروس كورونـا»[1]، وسـبَبُ هـذا الفشـل فـي نظـره، أنّ روحَ ومضمـونِ الفلسـفة الغربيـة بُنِيـا علـى: «الماديّـات والمـال»؛ ولـم ينحصـر الفَشـلُ فـي الجانـب الفلسـفي، بـل امتـدّ فـي رأي خامنئـيّ إلـى الفشـلِ فـي «عـرض الأخـلاق العامّـة»[2]، ويُكـرِّر محمـد رضـا يـزدي (أحـد قـادة الحـرس الثـوري)، قريبًـا مـن مقولـة خامنئـي، فيـرى أنّ الفيـروس أفشَـلَ مُخطَّطـات الغـرب لتعميـم العولمـة، وتدميـر كيـان الأُسـرة[3]، ونفسُ الـكلام يُـردِّده ممثِّل المرشـد فـي سـوريا آشـكذري[4]، ويؤكِّـد الشـيخ محمـد ليالـي، أنّنـا نشـهدُ عصـرَ «أفـولِ أمريـكا، وسـقوط النظـام الليبرالـي»[5]، ويتنبّـأُ الشـيخ محمـد ملـك زاده أنّ مـا نشـهدُه هـو: «بـوادرُ سـقوطِ النظـام الليبرالـي الحاكِـم فـي الغـرب»[6].

هـذه المقـولات تـدلُّ بأبعادهـا علـى أحشـاء الفكـر الفلسـفي الدينـي عنـد الولائييـن؛ ونلحـظُ التعميـمَ فيهـا، مـع أنّ الفلسـفة الغربيـة ليسـت كُتلـةً واحـدة، بـل هنـاك جهـودٌ غربيـة لنقـد الحداثـة، ومـا بعـدَ الحداثـة، اسـتفادَ منهـا فلاسـفةُ الشـرق أنفسـهم[7]. وعلـى مسـتوى آخـر، فـلا يُلـزم مـن التفلسُـف فـي الفضـاء المعرفـي تبنِّيـهُ مـن قِبـل الأنظمـة السياسـية الغربيـة، لـذا فـإنّ لـكلّ نظـامٍ فلسـفتُه وطرائـق عملِـه ومُنظِّـروه.

---

(1) كيهان، القائد: الغرب فشل فلسفيًّا واجتماعيًّا وأخلاقيًّا في مواجهته لكورونا، السنة الأربعون، العدد رقم 10395، 11 مايو 2020م. ووكالة أنباء الحوزة، الإمام خامنئي: انهزام الإدارة والأخلاق العامّة وفلسفة الغرب الاجتماعية أمام فيروس كورونا، 10 مايو 2020م. https://bit.ly/2Ldvhh4

(2) المرجع السابق.

(3) سردار يزدى: شيوع كرونا خيلىها را به خود آورد..، 9 أبريل 2020م. https://bit.ly/3edNyZ1

(4) وكالة رسا للأنباء، ممثل قائد الثورة الإسلامية في سورية: فيروس كورونا رغم صغر حجمه دمر هيمنة الدول الاستكبارية، 02 مايو 2020م. https://bit.ly/3e7t7Md

(5) وكالة رسا للأنباء، الشيخ ليالي في حوار مع رسا: مؤشِّرات أفول أمريكا باتت واضحة، 10 يونيو2020م. https://bit.ly/3cQVfT0

(6) رسا للأنباء، الشيخ محمد ملك زاده: المجتمع الإنساني بات يتفهّم ضعف الحضارة الغربية، 10 يونيو 2020م. https://bit.ly/2MN88CL

(7) وقد صرَّح المسيري كمثالٍ أنّ نقده للحداثة الغربية متأثِّر بالنقد الغربي لتلك الحداثة!. راجع: المسيري، رحلتي الفكرية.. في البذور والجذور والثمر، ص209.

لكن رُبّما يرجع السبب في ذلك إلى ما قِيل عن احتقار النُّخَب الدينية الإيرانية للفلسفة الغربية[1]؛ وذلك بسبب العقل المذهبي المؤدلج الذي لا يرى الخلاصَ إلّا في نموذجِه، ولا يجدُ الحقّانية إلا فرديةً، لا متعدِّدة؛ ما يضعُ على عاتقه عبءِ نشرِ نموذجِه الفِلسفي، ويُحمِّله بأثقالِ مذهبية لا تنتهي مَتعلِّقةً بخلاصِ الآخرين الأُخروي. ذلك العقل المؤدلج اعتراه قصورٌ شديد في تصوُّر الدرس الفلسفي الغربي، بكلّ تشابُكاته ومُخرجاته، وتنوُّعاته؛ وعلى سبيل المثال، يذهب مجيد محمدي إلى أنّ مرتضى مطهري كان يحتقرُ الفلسفةَ الغربية، وأنّ ذلك يرجعُ إلى: «معرفته القليلة بفلسفة الغرب، لا سيما فلسفة القرون الوسطى، يغفلُ عن أنّ كلّ هذه الحكمة الإلهية التي هي عندنا كانت موجودةً عند المسيحيين أيضًا، وأنّ هاتين المدرستين: المشاء والإشراق والموضوعات العرفانية كانت مطروحةً أيضًا في أوروبيات القرون الوسطى»[2].

وأدَّى هذا النزوع الاستعلائي إلى أمرين: الأوّل: دعوى الكفاية: حيث عزَّز الإيرانيون فكرةَ الاكتفاء: الاكتفاء المعرفي/ الفلسفي، والاكتفاء المادِّي عن الغرب؛ فالاكتفاءُ الفلسفي تمثَّل في تضخيم النموذج الإيراني/ الولائي، ونفي تعدُّدية القوميات والثقافات من حيث الخِلقة/ الفطرة، والمبدأ، ومن ثَمَّ تهيئتُها لقبول الثقافة الإيرانيةَ/ الولائية، وانصهارُها في نموذج فلسفي مُحدَّد. أمّا الاكتفاءُ المادِّي فتجلَّت مفرداته في أزمة كورونا الأخيرة، إذ ذهبَ المرشد علي خامنئي نفسه إلى أنّ الإيرانيين ليسوا في حاجة إلى دواءِ أمريكي. فيرفُض في أحد خطاباته، قبولَ مساعدات أوَ حتّى دواءٍ أو لقاح -في حال توفُّره- من الأمريكيين[3]، ويكرِّر أحدُ

(1) راجع: مرتضى مطهري، المجتمع والتاريخ، ص71.

(2) مجيد محمدي، اتّجاهات الفكر الديني المعاصر في إيران، ص135.

(3) موقع مكتب سماحة القائد آية الله العظمى الخامنئي، أيّ عاقل يقبل مساعدة أمريكا المتّهمة بإنتاج فيروس كورونا؟، 22 مارس 2020م. https://bit.ly/3cjCpEv

قـادة الجيـش الأدميـرال حبيـب اللّه سـياري نفـسَ الـكلام، فإيـران وفقًـا لقولـه تتغلَّـب علـى الفيـروس بإمكانياتهـا الداخليـة فقـط[1]، والثانـي: حُلـم اسـتعادة الإمبراطوريـة: حيـث يسـعى الولائيـون الإيرانيـون للوصـول إلـى مرحلـة الحكومـة العالميـة، ويصرِّحـون بذلـك غيـر مُباليـن بحـدود الـدول الوطنيـة وسـيادتها، ولا بأعـراف دوليـة ودبلوماسـية، لـذا يدعمـون جماعـاتٍ وتيّـارات دونَ الـدول الوطنيـةٍ، ويتدخَّلـون بأنفسـهم فـي دولٍ ذات سـيادة؛ ومـن التصريحـات اللافتـة فـي هـذا المقـام، مـا صـرَّح بـه إسـماعيل قآنـي، عندمـا كان نائبًـا لقائـد فيلـق القـدس، بـأنّ التدخُّـلات الإيرانيـة فـي كربـلاء والنجـف، وسـوريا ولبنان، ليسـت سـوى تدخُّلاتٍ براغماتية، هدفُها هو: «إقامة حكومـة إمـام الزمـان التـي سـتحكُم العالـم أجمـع»[2]. هـذا الحُلـم فـي التحكُّم بالعالـم، وتأسـيس حكومـة عالميـة، وتشـريب الإيرانييـن لذلـك المعنـى، والتركيـز عليـه حتّـى بـاتَ هاجسًـا لدى النُّخَب الدينية وصُنّـاع القـرار السياسـيين والعسـكريين، بغـضّ النظـر عـن مـدى أخلاقيتـه، فإنّـه سـببٌ مـن أسـباب بقـاء النظـام الراهـن منـذ الثـورة وحتّـى اليـوم، رغـم كلّ العقوبـات الاقتصاديـة التـي فُرضـت عليـه؛ وعـن أهمِّيـة هـذا التخليـق للحُلـم حتّـى مـع عـدم واقعيتـه السياسـية -أو عـدم أخلاقيتـه- فـإنّ المسـيري يقـول علـى سـبيل المثـال معلِّقًـا علـى تنبُّـؤ هيـكل بسـقوط السـوفييت بسـبب افتقادهـم للحُلـم: «مـن لا يملـك مشـروعًا حضاريًّـا يتقدَّـم بخطـى حثيثـة إلـى مزبلـة التاريـخ»[3]. لـذا نجـد الإيرانييـن يتعاملـون كنـدٍّ للفلسـفة الغربيـة، ومنافـس يُريـد شـرعيةً وتواجدًا فـي السـاحة الفكرية والسياسـية عالميًّا، بل يُريدون

---

(1) وكالـة مهـر للأنبـاء، اميـر سـيارى در گفتگـو بـا مهـر: مىتوانيـم بـا تـوان داخلـى بـر كرونـا غلبـه كنيـم/ نيـازى بـه غـرب نداريـم، 13 أبريـل 2020م. https://bit.ly/3b5MNz6

(2) المعهـد الدولـي للدراسـات الإيرانيـة، قيـادي بـ«فيلـق القـدس»: تدخُّلاتنـا فـي المنطقـة لإقامـة حكومـة المهـدي..، 11 أغسـطس 2018م. https://bit.ly/2MKuzsf

(3) عبد الوهاب المسيري، رحلتي الفكرية، ص467.

إقصاءَ الآخر، باعتبار أنّ الإسلام -وفق قراءتهم المذهبية- لا يقبل تعدُّدَ الثقافات، ولا القوميات ولا الفلسفات، ولا تعدُّدَ التصوُّرات الدينية وتفاوتَ المبادئ الأخلاقية، وتلك في نظر مُنظِّري الدولة الإيرانية: «أمورٌ ثابتةٌ مُطلقة غير نسبية»، كما يذهب مرتضى مطهري[1].

ثالثًا: مذهَبَة الأزمة.. وتديينُ الأُفق

استعملَ رجال الدين مصطلحات دينية ومذهبية خالصة، لمخاطبة الجماهير إبان أزمة كورونًا، باعتبارها ابتلاءً منَ اللّه، ومِحنةً ينبغي الصبرُ عليها، لتحويلها إلى منحة، وباعتبارها تارةً أُخرى عاملًا من عوامل تهيئة الأرض لظهورِ المعصوم، وتأسيسِ الحكومة العالمية.

1. ظهورُ المعصوم: نحوَ حكومة عالمية

لمّا اعتقدَ الولائيون بمثاليةِ نموذجِهم، وبخصوصية «الإسلام الإيراني»، وشكّكوا في النموذج الغربي، وحكموا بفشله، عملوا موازاةً مع ذلك المستوى التهديمي للنموذج الغربي، على وراثتِه، وإحلالِ نموذجهم المعرفي محلّه، عبرَ التمهيد للحكومة العالميةِ، وقيادة الإمام المعصوم؛ ويتفق الولائيون الشيعةُ هُنا مع الحركات السُنِّية، التي تسعى كذلك لما تُسمِّيه بـ «أُستاذية العالم»، أو إقامة «الخلافة العالمية».

ومن هذا المدخل، اعتبرت النُّخبة الدينية الإيرانية أنّ أزمةَ كورونا تمهيدٌ لظهور المعصوم، فتحدَّث عددٌ من رجال الدين الولائيين، عن علاقة المهدي بجائحة كورونا، باعتبارها مؤشِّرًا أوّلًا على قُرب ظهوره، وثانيًا على ضرورة وجودِه في ظلّ «انهيار» النموذج

(1) مرتضى مطهري، المجتمع والتاريخ، ص49.

الغربـي.
ولا يخفـى أنّ مثل هـذه المفـردات موجَّهـةٌ بالدرجـة الأولـى إلـى الجمهور الإيرانـي، ومحاولـة إقناعـه أنّ تلـك المحنـة مرجـوّة الثمرات العقدية التـي طال انتظارُهـا، وبالتالـي تخفيـف العبء النفسـي عن ذلـك الجمهـور، الـذي اتّهـمَ بعضُـهُ النظـامَ السياسـي بالفَشَـلِ فـي مواجهـة الأزمـة.
ورغـمَ أنّ الخطـاب مُوجَّـهٌ إلـى الداخـل، لأنّ الخـارج لا يعنيـه أمـرُ المعصـوم، فضـلًا عـن ظُهوره، إلّا أنّـه وفقًـا للمرشـد **علي خامنئي**، فـإنّ العالـم كُلّـه اليـوم يشـعر بـ: «بالحاجـة إلـى منقـذ، الحاجـة إلـى المهـدي، الحاجـة إلـى القـدرة الإلهيـة، إحسـاس الحاجـة إلـى إمـام معصـوم، الحاجـة إلـى العصمـة، والحاجـة إلـى التوجيـه الإلهـي»[1]، ومثـل تلـك المقـولات ليسـت فقـط لتجـاوز أزمـة النظـام فـي التعامُـل مـع الوبـاء، بـل هـي أيضًـا تعبئـةٌ للعقـل المذهبـي بأحمـال أيديولوجيـة متعلِّقـة بالرسـالة والتبليـغ، وإنقـاذ البشـرية كلّهـا، وهـذا ملمـحٌ مُهـمّ لتفكيـك العقـل الدينـي الإيرانـي المُعاصـر، وإدراك تشـكُّلاته، وفهـمِ مـآلاتِ خطابـه فـي الواقـعِ السياسـي والاجتماعـي.
وبنفسِ نَظـرة المرشـد، يؤكـد آيـة اللّه علـم الهـدى أنّ الأزمـة أظهـرت عدمَ قُدرة الأنظمـة الحاكمـة فـي العالـم علـى الإدارة[2]، ومـن ثـمَّ فـإنّ الحلّ مـن وجهـة نظـره لإصـلاح العالـم هـو الحكومـة العالميـة بزعامة الإمـام المعصـوم: «فالعقيـدة المهدويـة هـي فكـرٌ سياسـيٌّ عالمـي، وقـد نشـأ لتتـمَّ إدارةُ حيـاة البشـر بطريقـةٍ تفـوقُ الطريقـةَ البشـرية،

(1) وكالـة ارنـا، رهبـر انقـلاب: بشـريت هيـچ زمانـی بـه انـدازه امـروز نيازمنـد منجـی نبـوده اسـت، 21 أبريـل 2020م.
https://bit.ly/2XmnuVf
(2) وكالـة مهـر للأنبـاء، امـام جمعـه مشـهد: وظيفـه مـا مبارزه بـا اسـتكبار بـرای زمينه‌سـازی ظهـور اسـت، تاريخ الاطلاع: 28 أبريل 2020م. https://bit.ly/34k65hC

وذلك بعد أن سئم العالم من الأنظمة الإدارية المختلفة»[1].

وهذا التضخيم من دور الإمام الغائب في إنقاذ العالم وتصحيح مساره، قُوبِل بتصريحات لافتة صادرة من داخل الجماعة العلمائية، ففي تصريح لافتٍ لرجل الدين الإيراني قاسم ترخان، قال: إنّ الإمام الغائب مُعرّضٌ للمرض بسبب فيروس كورونا: «قد يمرض -الإمام الغائب- ويطلب منّا أن ندعو من أجل صحّته»[2]، و: «قد يُصاب الإمام المعصوم بالمرض، وقد يتسبَّب الفيروس أو عاملٌ آخر بالمرض والوهن له»[3].

لكن يبدو أنّه استشعَرَ تبعات تلك المقولة، ومدى إشكاليتها؛ لأنّه إذا اعتُبِرت كمُقدِّمة منطَقية، فيُمكن الخروجُ منها بعدَّة نتائج، كالقول بموته، أو عجزه، ونحوَ ذلك؛ ولذا وازَنَ الكلام مرَّةً أخرى، وألمحَ إلى أنّ الإمامَ المعصوم بإمكانه أنّ يشفي المرضى، لكنّه لا يتدخَّل إنفاذًا لقوانين السُنَن الكونية، أو أنّه يمتنعُ عن التدخُّل بسبب ذنوبِ البشر: «لا يُتوقَّع من الإمام تحطيمُ نظام الأسباب والمُسبِّبات، ونفسُ الأمر ينطبقُ على سُنَن الله في الكون..، وأحيانًا يكون سببُ المرض هو الذنوب التي يرتكبُها البشر، مثلما أنّ العديدَ من المشاكل البيولوجية ناجمةٌ عن الأداء غيرِ الصحيح للبشر»[4].

وقد باتت المسألة المهدوية أداةً من أدواتِ الصراع والتوظيف السياسي، وتُستحضَر كثيرًا في الأزمات، كنَوع من أنواع اللجوء إلى الأيديولوجيا، والتأثير على الجماهير، وتعزيزِ الشَرعية،

(1) المرجع السابق.

(2) وكالة مهر للأنباء، قاسم ترخان پاسخ داد؛ چرا بلايا توسط امام زمان(عج) دفع نمی‌شود؟ تاريخ الاطلاع: 28 أبريل 2020م. https://bit.ly/3a2KN9r

(3) مهر للأنباء، پاسخ تكميلى حجت الاسلام ترخان به شبهه بيمارى معصوم؛ عالم براساس نظام اسباب اداره مى شود..، تاريخ الاطلاع: 28 أبريل 2020م. https://bit.ly/3b37Vpw

(4) وكالة مهر للأنباء، قاسم ترخان پاسخ داد؛ چرا بلايا توسط امام زمان(عج) دفع نمی‌شود؟ تاريخ الاطلاع: 28 أبريل 2020م. https://bit.ly/3a2KN9r

والمزايدات المذهبية، وقد فصّلنا القولَ فيها في موضعٍ آخر[1].

2. من المحنة إلى المنحة: ابتلاءٌ لا وباء

طالب المرشد الإيراني علي خامنئي من الجميعِ أن يتوسَّلوا ويلتفتوا إلى اللّٰه عزّ وجل، من أجل رفع الوباء، ووفقًا لقولِه فإنّ هذا البلاء: «ليس عظيمًا جدًّا، وقد شهَدنا أعظمَ منه لكنّني أعقدُ الأملَ الكبير على الدعاء النابِع من قلوب الشباب النقية والصافية والأتقياء؛ لأجل دفع البلاءات العظيمة». ثمّ طالبَ بقراءة أدعية مذهبية خالِصة: «فالدعاء السابع في الصحيفة السجّادية دعاءٌ مميَّز، وينطوي على مضامين رفيعة»[2]، ويعود فيؤكِّد في موضع آخر، أنّ الدعاءَ يجلبُ البركةَ للمجتمع، وأنَّ كورونا ابتلاءٌ وامتحانٌ للحكومات والشعوب[3]؛ وقريبًا من ذلك، يذهب آية اللّٰه الأعرافي في بيانٍ له حول فيروس كورونا: «النوازل والكوارث الطبيعية في منظور الشريعة ما هي إلا امتحاناتٌ واختباراتٌ إلهية للعباد؛ من أجل رفع منزلةِ المؤمنين وإعلاءِ درجاتهم عند اللّٰه تعالى، وتحذيرٌ للمقصِّرين والمتهاونين في شرائع اللّٰه وطاعته»[4]، ويوصِّي آية اللّٰه خاتمي الناسَ بالدعاء، لرفع الابتلاء: «إن الآيات والروايات تُوصي المؤمنينَ بالصبر والتأنِّي في مواجهة المشكلات والبلايا..، وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ»[5].

---

(1) راجع: محمد الصياد، فقه الانتظار، ص129 وما بعدها.

(2) الموقع الرسمي لخامنئي بالعربية: بعد غرس شتلة بمناسبة يوم التشجير.. توصيات الإمام الخامنئي للناس بخصوص المرض الناجم عن فايروس كورونا، 03 مارس2020م. https://bit.ly/2IeaTLg

(3) وذلك في كلمة له بمناسبة النصف من شعبان 1441هجري. راجع: وكالة رنا، رهبر انقلاب: بشريت هيچ زمانى به اندازه امروز نيازمند منجى نبوده است، 21 أبريل 2020م. https://bit.ly/2XmnuVf

(4) الإعلام الرسمي للحوزات العلمية - قُم: آية الله الأعرافي، الحوزات العلمية تعرب عن جهوزيتها لمواجهة كورونا حتّى الإعلان عن القضاء عليه بشكل نهائي، 01 مارس2020م. https://bit.ly/2IlzvBy

(5) وكالة رسا للأنباء، آية الله خاتمي: لا يمكن استبعاد إمكانية الحرب البيولوجية في تفشّي فيروس كورونا، 19 أبريل 2020م. https://bit.ly/2YxD5SH

ولتواتُر مِثل تلك المقولات الدينية، استحضارًا للبلاء والابتلاء، والدعاء، ينبغي أن نطرَحَ تساؤلا متعلّقًا بعقيدة الولائيين الشيعة في الجبر والاختيار؟!

بالنسبة لعلماء الكلام الشيعة عمومًا، فإنَّهم لا يقولون بالجبر، فيذهب آية الله جعفر السبحاني -مقرِّرًا لمذهب المدرسة الشيعية- إلى أنّ الإنسانَ مخيَّر، وأمّا علمُ الله فتعبيرٌ عن الواقع الخارجي، بما لا يتخلَّف عنهُ قيدَ شعَرة[1]، ويؤكّد ذلك مصباح يزدي بقوله: «فإذا حدثت هذه الأفعال على صفة الجبرية، تكون قد تحقَّقت على خلاف العِلم الإلهي، وتخلّفت عنه»[2]، وقد يُستدرَك على هذا ما قِيل عن التلازُم بين العِلم والمشيئة، فقد ذهبَ أبو جعفر القُمّي إلى أنّ العلم والمشيئة متلاقيان، فما يعلمُه الله يشاؤه، لكن استدرَكَ عليه الشيخُ المفيد وقرَّر أنّ مقولةَ أبي جعفر القُمّي ليست مذهبَ الإماميّة[3]، ومن العبارات المشهورة في موقف الإمامية من تلك المسألة، قول جعفر الصادق: «**لا جبرَ ولا تفويض بل أمرٌ بين الأمرين**»[4]، وهي قريبةٌ من مذهب الأشاعرة، وإن لم يُصرِّحوا بالكسب الأشعري، ولم يتماهوا معه.

وبالنسبة للولائيين، فإنّهم نظريًّا نفوا كلَّ جبر، فيقول **مرتضى مطهري** في الجبر والاضطرار: «الحقُّ أنَّ الحوادث التاريخية لو كانت تقعُ على وجه الجبر والاضطرار، لما عادت للفرد أيّ مسؤولية، ولما عادَ أيُّ فردٍ يستحقّ التمجيد والثناء، أو الذمّ

(1) جعفر السبحاني، القضاء والقدر في العلم والفلسفة الإسلامية، تعريب: محمد هادي اليوسفي، ط/ دار الأضواء بيروت 1987م، ص104. وراجع بالتفصيل: د. محمد زكريا النداف، مسائل الاعتقاد عند الشيعة الإثني عشرية في ضوء مصادرهم الحديثة، 2/ 587 وما بعدها.

(2) محمد تقي مصباح يزدي، دروس في العقيدة، ص166، نقلًا عن مسائل الاعتقاد عند الشيعة الإثني عشرية، 2/ 597.

(3) محمد أبو زهرة، الإمام الصادق حياته وعصره.. آراؤه وفقهه، ط/ دار الفكر العربي القاهرة د.ت، ص172.

(4) المرجع السابق. وعن معنى المقولة وكيف استُعمِلت من قِبل المفوّضة والغُلاة، راجع: محسن كديور، القراءة المنسية، ص123.

واللـوم»[1]؛ ونجـد نحـوَ ذلـك عنـد جعفـرِ السـبحاني، الـذي نفـى كلَّ جبـر علـى الإنسـان، ومنحـهُ الحُرية المُطلَقة فـي الاختيار والأفعال[2]، وكذلـك تؤكّد عبـارات يـزدي آنفةُ الذكر نفسَ الاتجاه.

لكـن فـي نفـس الوقـت نجـدُ أنّ القَـدَرَ يُسـتحضَر علـى المسـتوى العملـي/ السياسـي، فـكلّ شـيءٍ وقَـعَ إنّمـا هـو بـإرادة اللّه ومشـيئته وفعلـه، فأزمـةُ كورونـا، بـلاءٌ وابتَـلاءٌ مـن اللّه، ولا تُرفَـع إلّا بالدعـاء، وباَتَـت مـن تمهيـدات ظهـورِ المعصـوم؛ والمفارقـة أنّ الولائييـن رغـم قولِهـم بالحرِّيـة والاختيـارَ، يقولـون بفردانيـةِ النمـوذج المعرفـي، ووحدانيـة الثقافـة الفلسـفية للمجتمـع البشـريَ كلّـه، كمـا جـاء علـى لسـان مطهـري، أيّ إجبـارُ المجتمـع البشـري علـى اعتنـاقِ نمـوذجٍ بعينـه، وذلـك تناقُـضٌ صَـراح مـع القـول بالاختيـار.

ويحـاول آيـة اللّه مصبـاح يـزدي الخـروجَ مـن هـذا الإشـكال، فيذهـب إلـى أنّ الدعـاءَ والابتهـال، لا يتعـارض مـع قانـون العلّيـة العامّـة: «إنَّ هنـاك شُـبهاتٍ ورَدَت حـولَ الدعـاء، مفادُهـا أنّ الابتهـال إلـى اللّه ودعـاءه ممـا يتَعـارض وقانـون العلّيـة العامّـة، والـذي تُثبتُـه ضـرورة العقـل وتعتمـدُ عليـه الأبحـاث العلميـة. إنّ للدعـاء تأثيـرًا إيجابيًـا علـى الإنسـان لا يمكـن أن يتعـارضَ وقانـون العلّيـة، علـى سـبيل المثـال: فـإنّ طلـبَ الكمـال مـن اللّه سـبحانه لا يحمـلُ تعارُضًـا مـع العلّيـة العامّـة»[3]، وعضّـد قولـه بـأنّ فـي الكونِ عللٌ لـم يكتشـفها الإنسـان، ويمكـن أن تُعَـدّ فـي سلسـلةِ العِلـل غيـرِ المادِّيـة، وبالتالـي يتّضـحُ مـا

---

(1) مرتضى مطهري، المجتمع والتاريخ، ص63.

(2) راجـع: جعفـر السـبحاني، القضـاء والقـدر فـي الفلسـفة الإسـلامية، ص107. وقـد خالـف الإماميـة الأشـاعرةَ الذيـن قالـوا بالكسـب، والمعتزلـة الذيـن قالـوا إن الإنسـان خالـقٌ لفعل نفسـه، فقال الإماميـة: إنّ الإنسـان فاعلٌ، كمـا جاء فـي الآيـات القرآنيـة، وفرّقـوا فـي هـذا المقـام بيـن الفعـل والخلـق، وآثـروا اسـتخدام المصطلحـات القرآنيـة دون تغيير، حتـى لا يلـزم مـن مذهبهـم مـا لـم يلزمـوه.

(3) وكالـة رسـنا للأنبـاء، آيـة الله مصبـاح يـزدي، الابتهـال فـي سـاحة الله لا يتعـارض مـع قانـون العليـة العامّـة، 17 مايـو 2020م.
https://bit.ly/2LJYnVj

يحملُه الدعاءُ من تأثير، لا يتعارضُ مع العلّية العامّة[1].

رابعًا: مركزيةُ العتبات: موانعُ الإغلاق وبواعثُ الفتح

كان الرأيُ الفقهي السائد في بداية أزمة كورونا لدى النُّخَب الدينية الإيرانية، عدمَ إغلاقِ العتبات والمراكِز الدينية، أو فرضَ عُزلة صارمة على المُدن «المقدَّسة»، ويبدو من تسلسُل الأحداث والمواقف، أنّ هذا كان رأيَ الدولة، ممثَّلةً في المرشد الأعلى، والنُّخبَة الدينية.

وسرعان ما تطوَّر الموقف الرسمي لرجال الدين جرّاءَ الإصابات الكبيرة بالفيروس، والتي طالت عددًا من رجال الدين والمسؤولين الإيرانيين أنفسهم؛ ما حمَلَ النظامَ على التعاطي مع هذا الملفّ، والنظر إليه بعين مختلفة. فقد مات رجل الدين هادي خسروشاهي (1938 - 2020م)، ورجلُ الدين محسن حبيبي، وأُشيع عن إصابة المرجع الديني شبيري زنجاني، بعد إصابة أحد مساعديه بالفيروس، وتمّ عرضُه على الفحص الطبِّي، الذي جاء سلبيًّا، لكنه تغيَّبَ عن دروسِه وصلوات الجماعة[2].

---

(1) المرجع السابق، ويُفسّر الفيلسوف الطباطبائي مبدأ العلية العامّة بقوله: «أن يكون هناك أمرٌ واحد أو مجموع أمور إذا تحقَّقت في الطبيعة مثلًا تحقّق عندها أمرٌ آخر نسميه المعلول بحكم التجارب كدلالة التجربة على أنّه كلّما تحقّق احتراقٌ لزِمَ أن يتحقّق هناك قبله علّة موجِبة له من نار أو حركة أو اصطكاك أو نحو ذلك، ومن هنا كانت الكلّية وعدم التخلّف من أحكام العلّية والمعلولية ولوازمهما. وتصديق هذا المعنى ظاهر من القرآن فيما جرى عليه وتكلّم فيه من موت وحياة ورزق وحوادث أخرى علوية سماوية أو سفلية أرضية على أظهر وجه، وإن كان يسندها جميعا بالآخرة إلى الله سبحانه لفرض التوحيد. فالقرآن يحكم بصحّة قانون العلية العامّة بمعنى أن سببًا من الأسباب إذا تحقّق مع ما يلزمه ويكتنف به من شرائط التأثير من غير مانع لزِمه وجود مسببه مترتّبًا عليه بإذن الله سبحانه وإذا وجِد المسبِّب كشف ذلك عن تحقُّق سببه لا محالة». الطباطبائي، تفسير الميزان، 1/ 74.

(2) ايلنا، با انجام آزمايش؛ تست كروناى آيت‌الله شبيرى زنجانى منفى اعلام شد، 27 فبراير2020م. https://bit.ly/2SZmKCR

و: ايلنا، نوه آيت‌الله العظمى شبيرى زنجانى: آقاجان از يک هفته پيش تا كنون در منزل هستند و حتى حرم نرفتند/ آقاى فاضلى بر اثر كرونا از دنيا رفت/ فعاليت‌هاى دفتر تعطيل است، 25 فبراير2020م. https://bit.ly/2vi0A5M

وأُصيبت أيضًا شقيقةُ المرجع شبيري زنجاني، وتُوفِّيت في إحدى مستشفيات قُم، وهي والدة محمد مير محمدي، عضو مجمع تشخيص مصلحة النظام، الذي تُوفِّي إثرَ إصابته هو الآخر[1].

وبسبب تلك الوفيات، اضطرَّت السُلطات لغلق العتبات، وتراجَع من كان يرفُض الغلقَ من رجال الدين، إلى تبريره فقهيًّا، والتماسِ المخارج الشرعية له، بل وسمَ المحتجِّون على قرار الغلق بـ «الخوارج». أيضاً فإنّ ضغوطاً دوليةً وإعلامية مُورست لإغلاق تِلك العتبات، التي بدت كسبب من الأسباب الرئيسية لنشر الفيروس في عموم البلاد، بسبب التجمُّعات الدائمة. كذلك فإنّ لجوءَ الإيرانيين إلى المجتمع الدولي لطلب الدعم الطبِّي والاقتصادي، أوجبَ على المسؤولين استباقَهُ ببعض الإجراءات الجادَّة في الداخل.

ويمكن رصدُ مواقف رجال الدين تجاه غلق العتبات، من خلال المراحل التالية:

المرحلة الأولى: بين المذهبي والمصلحي.. رفضُ غلق العتبات

هناك ميراثٌ روائي مُحمَّلٌ بطهرانية تلك العتبات، وأنّها مواطنُ دواء، تُشّفي من الأسقام والأوجاع، وشكَّل ذلك التراث العقلَ الجمعي لرجال الدين، والذاكرةَ التراكمية للعامّة عقودًا وقرونًا من الزمن. وكانت هذه المقولات الروائية سببًا رئيسيًّا من أسباب موقف رجال الدين، ومن تلك الروايات، ما جاء عن الحسين قوله لرسول الله: «يا أبتاه، ما لمن زارك؟»، فقال رسول الله: «يا بني من زارني حيًّا أو ميِّتًا أو زار أباك أو زار أخاك أو زارك كان حقًّا عليَّ أن أزورهُ يوم القيامة وأُخلِّصه من ذنوبه»[2]. وقد حملوا

---

(1) وكالة مهر للأنباء، وفاة محمد مير محمدي عضو مجمع تشخيص مصلحة النظام إثر إصابته بفيروس كورونا، 03 مارس2020م. https://bit.ly/2uNrKRS

(2) الكليني، الكافي، باب زيارة النبيّ، 4/ 774.

ما جاء من فضل في زيارة النبي إلى زيارة الأئمة، ثمّ إلى زيارة عموم العتبات من أقارب المعصومين، والفقهاء المعروفين. فقد روى الكليني بسنده عن جعفر الصادق، قيل له: «ما لمن زار أحدًا منكم؟»، قال: «كمن زار رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلّم»[1]، وفي رواية أخرى يحثّ جعفر بعضَهم على الزيارة بقوله: «ألا تزور من يزوره اللّه مع الملائكة، ويزوره الأنبياء ويزوره المؤمنون؟»[2].

ولذا كان رفضُ الإغلاق هو الموقفَ الأوّل لجناح عريض من رجال الدين؛ فآية اللّه السعيدي -ممثِّل المرشد في مدينة قُم- طلبَ من الناس الذهابَ إلى «الحرم المقدَّس» لأنّه موضعُ شفاء، قائلًا: «نعتبرُ هذا الحرم المقدَّس دارَ شفاء، ودارُ الشفاء يعني أن يأتي الناس إليه للحصول على علاج لأمراضهم الروحية والجسدية، وبناءً على هذا يجب أن يبقى هذا المكان مفتوحًا، ويجب على الناس أن يأتوا بكثرة. بالطبع نحن نعتبرُ أخذَ الحيطة والحذر شرطًا، وأنّ علينا مُراعاة المسائل الصحِّية»[3].

وعندما علَّق مجلس محافظة قُم صلاةَ الجماعة في مرقد «السيِّدة المعصومة» بُغية تعقيمه، أصدَرَ موقع المرقد مذكرةً تنتقدُ قرارَ مجلس المحافظة، واستندَ إلى أنّ: «هيكل الضريح مُضادٌّ للجراثيم، وهو حاجزٌ قويٌّ لوباء كورونا»[4]، ومن الملاحظ أنّ الاعتراضَ ليس فقط على غلق المرقد، بل على عمليات التعقيم، باعتبار الحرم «المقدَّس» دارَ شفاء، وهيكلُه مضادٌّ للجراثيم!

وبسبب تلك المواقف الغارقة في المذهبية والطُّقوسية، ازداد

(1) الكليني، الكافي، باب فضل الزيارات وثوابها، 4/ 824.

(2) الكافي، باب فضل الزيارات، 4/ 824.

(3) امام جمعه قم : "ما اين حرم مقدس رو دارالشفا مى دانيم .. بنابراين بايد اينجا باز باشه، منشور على يوتيوب بتاريخ 26 فبراير2020م. https://bit.ly/2TwTL8P

(4) العربية نت: نائب إيراني: قم بؤرة انتشار كورونا في إيران ودول الجوار، 04 مارس2020م. https://bit.ly/2VKpu93

تفشِّـي الفيـروس، واتّسـعت رقعـةُ انتشـاره، وانعكـس موقـفُ رجـال الديـن علـى جمهـرةٍ مـن المقلِّديـن، فحـاولَ بعـضُ العامّـة تحـدِّي الفيـروس عبـرَ لعـقِ الأضرحـة باعتبارهـا أماكـنَ شـفاء، وليسـت مواطـنَ وبـاء!

وقامـت السُـلطات باعتقـال بعض الذيـن نشـروا فيديوهـات لهم أثنـاء لعـق المقامـات، باعتبارهـم خالفـوا تعليمـات وزارة الصحَّـة، وقالـت السُـلطة القضائيـة إنّ هـذا العمـل «غيـر مألـوف»[1].

فـي حيـن تـردَّد مراجـعٌ آخـرون، فلـم يحسـموا المسـألة، بالأدلّـة المُتعارَفـة أُصوليًّـا وفقهيًّـا. فالمرجـع نـوري همدانـي قـال فـي معرض ردِّه علـى فتـوى حـول السـفر إلـى قُـم بنيـة الزيـارة وأداء النـذر: «إنّـه ينبغـي أداءُ النـذر فـي وقـت آخـر، فـي حالـة انتفـاء الضـرر»[2].

وقـال المرجـع **مكارم الشيرازي** ردًّا علـى نفس السؤال: «إذا لـم يكُـن هنـاك خطـرٌ كبيـرٌ عليـك مـع مراعـاة نصائـح السـلامة والصحّـة، فـلا مانـعَ مـن القيـام بهـذه الزيـارة، وإلّا فلـن تكـونَ مضطـرًّا لأداء النـذر فـي ظلّ الظـروف الحاليـة، وعليـك القيـامُ بذلـك بعـد انتهـاء الخطـر»[3].

وبنـاءً علـى هـذا الموقـف المتحوِّط، فقـد عُطِّلت كثيرٌ مـن المؤتمرات والنـدوات الرسـمية فـي عـدد مـن المسـاجد التاريخيـة، مثـل مسـجد جامكـران، وغيـره[4]، بيـدَ أنَّ العتبـات ظلَّـت مفتوحـةً، لَلاعتبـارات السـابقة.

والمُلاحَـظُ أنّ مطالبـات رجـال الديـن لـم تكُـن حاسـمة، بـل كانـت

(1) العربية نت، أتتذكرون لاعق الأضرحة في إيران.. هذا ما حلّ به، 02 مارس2020. https://bit.ly/2TjVHT4

(2) همشـهري اونلايـن، مراجـع تقليـد: سـفر بـه قـم جايـز نيسـت ؛ حتـى بـه نيـت اداى نـذر، 25 فبرايـر2020م. https://bit.ly/392RQPU

(3) المرجع السابق.

(4) همشـهري اونلايـن، برنامههـاى تجمعـى مسـجد جمكـران تعطيـل شـد، 25 فبرايـر 2020م. https://bit.ly/32HXWmn

متناغمةً مع قرار السُلطة الذي وضعَ ضوابطَ صحِّية لزيارةِ العتبات[1]، ولم يمنعها بالكُلِّية؛ ومن تلك الضوابط: التعقيم، وغسلُ اليدين، والأقنعة الطبية[2].

ويأتي هذا التردُّد رغم أنّ الأطباء والقطاع الصحِّي قد حسموا مسألةَ ظنِّية الضرر أو قطعيته، وطالبوا مرارًا بمنع الذهاب إلى قُم -والعتبات- باعتبارها مركزَ تفشِّي الفيروس في البلاد.

واستندَ موقفُ رجال الدين المبدئي ضدَّ غلقِ العتبات إلى عدَّة مسائل معقَّدة ومتشابكة، فالمسألة المالية والمَوارد حاضرةٌ بقوّة في خلفيات هذا الرفض، إذ إنّ التُجّار المتديِّنين ممن يملكونَ الفنادقَ والشركات القائمة على الزوّار والعتبات يساهمون في تمويل رجال الدين عن طريق الخُمس، وغيره؛ ومن ثمَّ فإنّ مواردَ رجال الدين تُتهدَّد جرّاء هذا الإغلاق، علاوةً على الخشية من اهتزاز مكانتِهم المجتمعية، وشرعيتهم بين عموم المقلِّدين، إذ إنّ التقليد ينبَني على الصِلة الفقهية المستمرّة بين المرجع وأتباعه، وهذه الصلة منها ما هو علمي، ومنها ما هو شعائري. أيضًا فإنّ الدولة نفَسها كأجهزة ومؤسَّسات تُفادُ كثيرًا من تلك العتبات، باعتبارها راعيةً للحُجّاج والزوّار، مع ما تضيفه تلك المراسم من شرعية مذهبيةٍ كبيرة داخل إيران وخارج إيران عند عمومِ الجماعة الشِّيعية.

المرحلة الثانية: أولوية المصلحي.. إغلاق العتبات

بعد سرعان انتشار المرض، وتزايد عدد الإصابات، ونصيحة الأطباء المتكرِّرة بوجوبِ تطبيق قواعد أكثرَ صرامةً بخصوص

(1) الشرق الأوسط: كورونا: تعليق أداء صلاة الجمعة في إيران.. وشروط لدخول أماكن العبادة، 27 فبراير2020م. https://bit.ly/2VDeWbl

(2) راجع: اليوم السابع، وفاة سفير إيران الأسبق لدى مصر بعد إصابته بفيروس كورونا في مدينة قُم، 27 فبراير2020م. https://bit.ly/2wjWzOx

العتبات، ووفاة وإصابة عدد من المسؤولين، قرَّرت السُلطات الإيرانية إغلاقَ المراقدِ والعَتبات.
وجاء في بيانٍ مشترك للعتبة الرضوية وإدارة حرم المعصومة: «إنّه نظرًا لحلول السنة الإيرانية الجديدة، وتوافُدَ الزوّار إلى العتبات المقدَّسة في مدينتي مشهد وقُم المقدَّستين، واجتنابًا لانتشار الأمراض والأوبئة، نُعلن عن توقُّف استقبال الزوار في هذين الحرمين الشريفين من صباح يوم الثلاثاء 17 من شهر مارس حتّى إشعار آخر»[1]؛ وأعلنَ قسم العلاقات العامّة لمرقد عبد العظيم الحسَني إغلاقَ أبوابه حتّى إشعارٍ آخر، حفاظًا على سلامة الزوّار أيضًا، وبنحو ذلك قرَّرت إدارة مسجد جمكران[2].
وكان من المتوقَّع أن يُقلقَ القرارُ رجالَ الدين بمختلف ميولهم، لذا فقد حاولَ الرئيسُ الإيراني امتصاصَ غضبهم[3]، ومع ذلك فقد قُوبِل القرارُ بمعارضة ظاهرة، لبعض رجال الدين والتيّارات المناهِضة للنظام، واتّخذَت المناهضةُ والتعامُل معها أبعادًا سياسية.

3. المؤيِّدون للقرار: تعزيزُ الشرعية الولائية

حاولَ رجالُ الدين الولائيين التناغُم مع مَنحى السُلطات الرسمية في إغلاق العتبات، وبرَّروا الإغلاقَ فقهيًّا ومذهبيًّا، حتّى أولئك الذين عارضوه من قَبل.
حيث طالبَ آية الله علم الهدى ممّن سمّاهُم محبِّي آل البيت السيطرة على مشاعِرهم، كي لا يتمكَّن الأعداء من استغلال

---

(1) شفقنا، للحدّ من انتشار فيروس كورونا..إغلاق العتبات المقدَّسة في إيران حتّى إشعار آخر، تاريخ الاطلاع: 01 أبريل 2020م. https://bit.ly/2R1i0LS
(2) المرجع السابق.
(3) راجع: خبر اون لاين، واكنش روحانى به تعطيلى حرمهاى متبركه درپى شيوع كرونا /اگر پادگان يا نهادى خصوصى در كنار اتوبان هستند، بايد پول آن را بدهند، تاريخ الاطلاع: 29 مارس 2020م. https://bit.ly/2xLoUOv

الأوضاع، وحاولَ علم الهدى إيجادَ تخريجات فقهية، وتبريراتٍ عقلية، لقرار السُلطة، وتمثَّلت أبرزُ مقولاتهً فيما يلي:

■ إذا كانت الاستغاثة بآل البيتِ أفضل علاج لرفع المصائب؛ فعلى الناس أن يقفوا على أسطُح المنازل ويتّجهوا إلى الإمام الكاظم، ويقرأوا دعاء الزيارة ويتوسَّلوا به لرفع هذا البلاء.

■ حضور الناس في حرم الإمام الرضا غير ممكن، لأنّ أمرَ إغلاق أبواب الحرم صادرٌ عن خبراء طبِّيين ومسؤولين في مكافحة الفيروس.

■ الأشخاص المسؤولون عن هذا الأمر منزعجون وقَلِقون من هذا الإغلاق أيضًا، فمثلُهم مِثل عامّة الناس.

■ ليس هناك شخصٌ يقَع اللوم عليه، فلم يُغلق العدو أبواب الحرم كي نقاومه، وإن اقتضاء الحياة الاجتماعية ووجودَ هذا المرض والفيروس، أدَّى إلى إصدار المسؤولين هذا الأمر[1].

ومن ثمَّ نجد أنّ علم الهدى يحاول إرجاعَ مسألة الإغلاق إلى الحكم الولائي، ومصلحة عامّة الناس «محبِّي آل البيت»، والتي يراها الولي الفقيه، الذي هو منزعجٌ أيضًا وقلقٌ من الإغلاق، وبالتالي لا يقع أيّ لوم عليه؛ لأنّه ليس عدوًّا يُقاوَم.

أمّا آية اللّه مصباح يزدي، فقد استندَ إلى قاعدة التزاحُم[2]، وكَيَّفَ المسألة أصوليًّا كالتالي:

■ هناك تزاحُم بين النفع والضرر، ووجبَ تحديدُ أهمّها، والتحديد لا يكون بالعواطف والمشاعر.

---

(1) خبر اون لاين، موضع گيرى علم الهدى به هتک حرمت برخى به حرم امام رضا (ع) بعد از بسته شدن دربهاى حرم بخاطر شيوع كرونا، تاريخ الاطلاع: 01 أبريل 2020م. https://bit.ly/2IWTLtO

(2) يستعمل التزاحُم في معنى التضايُق، واستعمله الأصوليون للتعبير به عن تضايق حكمين شرعيين واجبين على مورد واحد، وعدم قدرة المكلَّف على امتثالهما معًا في وقت واحد، وهنا يأتي دور الفقيه في الترجيح وتحديد أيّ الأمرين أولى بالفعل، وأيُّهما أولى بالترك، وفرَّقوا بينه وبين التعارض. راجع: حميدة كاظم الأعرجي، التزاحم عند أُصوليي الإمامية، مجلّة كلِّية الفقه، العدد 23.

■ امتناعُ المرشد عن زيارة مشهد، وإلغاء خُطبته هناك.

■ إذا استمرّ الإغلاق سنوات عديدة وأدّى إلى تناسي الناس، فسوف يحتاجُ الأمرُ حينئذٍ إلى برنامج خاصّ. فيُذهِبُ الإمامُ البعضَ على نفقة «بيت المال»، على غِرار عدم تعطيل مبدأ الحجّ، لكن هذه المواردِ نادرة.

■ البعض يريد أن يستغلَّ الإغلاق استغلالًا سياسيًّا، ولأغراضٍ شخصية، لإثارة الفُرقة بين الناس[1].

فركَّز مصباح يزدي على فعل المرشد/ الولي الفقيه في الامتناع عن زيارة مشهد، ومن ثمَّ حُجّيةِ ذلك الفعل، والتأسِّي به في الامتناع؛ لأنّ أمرهُ ملزم، وقد بدأ بنفسه. وسأستدلّ بقاعدة التزاحُم، والتي يفصِّل الأمر فيها الفقهاء، لكن إذا تعلّق الأمر بشأنٍ من شؤون الدولة فإنّ أمر الولي الفقيه مُقدَّمٌ باعتبار ولايته، بخلاف غيره من الفقهاء. لكنَّ المفارقة أنّه قاسَ زيارةَ العتبات على الحجّ، وهو أمرٌ لا يستقيم من ناحية القياس الأصولي، بيد أنّ هذا الاستدلال يدلّ على مكانة تلك العتبات في العقل الجمعي الإيراني- الشيعي، ومن ثمّ يؤشِّر على أسباب تأخّر قرارِ الغلق.

4. الرافضون للقرار: مواجهةُ الولي الفقيه

اعترض بعض الناس من فئات المتديِّنين على إغلاق المراقد والعتبات، وحاولت مجموعاتٌ من الشيرازيين وعموم المتديِّنين اقتحامَ حرم المعصومة وفتحهُ بالقوّة، وتمّ اعتقال أحد عشر شخصًا «انتهكوا حُرمة ضريح آل البيت»، وفقًا للمدَّعي العام في مدينة قُم[2].

(1) همشهري، واكنش مصباح يزدى به بسته شدن درب حرمها..، تاريخ الاطلاع: 28 مارس 2020م. https://bit.ly/2J0J8pW

(2) أفكار نيوز، دستگيرى 11 نفر درپى تجمع غيرقانونى در اطراف حرم حضرت معصومه (س)، تاريخ الاطلاع 01 أبريل2020م. https://bit.ly/2TYAZIA

وقـارنَ المحتجُّـون بيـنٍ عـدم تمكُّـن رضـا خـان مـن غلـق المراقـد والعتبـات، فـي حيـن تمكَّنـت حَكومـة الولـي الفقيـه مـن ذلـك، وسـارعَ مُنظِّـرو النظـام[1]، بتفنيـد تلـك المقارنـة، باعتبارهـا مقارنـةً «غيـر منصفـة»؛ لأنَّ رضـا خـان كان يُعـارِض المظاهـر الدينيـة، فـي حيـن أنّ الإغـلاقَ الحالـي هـو إغـلاقٌ مؤقَّـت، للمحافظـة علـى أرواح النـاس، واسـتندوا إلـى مسـألة الحكم الولائـي/ الحكومـي، الـذي يمنَـح الولـي الفقيـه الحـقَّ فـي تعطيـل أيّ عبـادة حتّـى ولـو كانـت الصـلاة والحـجّ لمصلحـة يرتئيهـا؛ فـ «قوانيـن الحًكومـة الإسـلامية وعلـى رأسـها الفقيـه، واجبـةٌ علـى الجميـع، وكانِ الخمينـي يؤمـن أنّ تجاوُزَ الخـطّ الأحمـر مُحـرَّمٌ شـرعًا؛ لأنّـه انتهـاكٌ لقوانيـن الحكومـة الإسـلامية»[2]. ووُصِـفَ هـؤلاءِ المُحتجِّيـن علـى القـرار مـن قِبَـل المسـؤولين بالمُتحجِّريـن فكَريًّـا، وبالخـوارج؛ فيصِفُهـم علـي مطهـريّ، بقولـه: «إنّ الأفـرادَ المتحجِّريـن فكريًّـا الذيـن اقتحمـوا حـرمَ المعصومـة احتجاجًـا علـى إغـلاق أبوابـه، وكسـروا الأبـواب يجـبُ اعتقالُهـم ومعاقبتُهـم، سـواءً بسـبب مسـاعدتهم فـي تفشِّـي فيـروس كورونـا أو بسـبب إضعـاف الإسـلام والشـيعة، فأولئـك أحيـوا ذكرى الخـوارج»[3]. ولا يخفـى أنّ اسـتحضار مُصطلـح «الخـوارج» فـي بيئـة مذهبيـة ومسـألة شـعائرية، تحريضٌ وتسـقيط: تحريضٌ للدولـة علـى التعامـل الأمنـيً باعتبـارِ أنّ دمـاءَ الخـوارج مُهـدَرة، وتاريخُهـم مـع الشـيعة مُشْـكَلٌ، وتسـقيطٌ مذهبي لهم بنزع انتسـابهم إلى الجماعة الشـيعية، ووضعِهـم فـي جانـب أعـداءِ آل البَيـت!

(1) جاء التفنيد على لسان محسن رهامي، أستاذ القانون بجامعة طهران.

(2) همشـهري، حقوقـدان اصلاح‌طلـب: هتـک حرمـت اماکـن مقـدس، موجـب بدبينـى دنيـا بـه مذهـب و مـردم ايـران مى‌شـود، تاريـخ الاطـلاع: 30 مـارس 2020م. https://bit.ly/2Uto00X

(3) خبر اون لايـن، علـى مطهرى: افراد جامد فكرى كه درب حرم حضرت معصومه را شكسـتند، ياد خـوارج را زنـده كردنـد /ايـن افـراد بايـد بازداشـت و مجـازات شـوند، تاريـخ الاطـلاع: 01 أبريـل2020م. https://bit.ly/33pTrgz

واعتبر مسؤولون آخرون أنّ تلك الاحتجاجات دليلٌ على صرامةِ تنفيذ القرار بالنسبة للسدنةِ في تلك المحافظات، ومن ثمَّ ينبغي: «إبداء التقدير لرجال الدين ودعمهم، والشعبُ سوف يُقدِّر تفانيهُم والمخاطر التي يتعرَّضون لها»[1].

وكان التيّار الشيرازي على ما يبدو أبرزَ الرافضين لغلق المقامات، وهو وإن لم يتبنَّ اقتحامَ «حرم المعصومة» رسميًّا، إلا أنّ تنديدًا رسميًّا صدَرَ من مكتب أحد زعامات التيّار ضدَّ اعتقال مقتحمي الحرم؛ فقد اعتبرَ الشيخ ياسر الحبيب، أنّ اعتقالهم جريمة: «هذه الجريمة تُضاف إلى سجلّ جرائم هذا النظام الطاغي، الذي لا يعرفُ سوى منطق القمع والتنكيل، ولا يرقَبُ في أحدٍ إلّا ولا ذمة»[2].

وقد اتّهمت وسائل إعلام إيرانية المرجعَ صادق الشيرازي شيخُ التيّار في قُم، بالوقوف خَلفَ تلك الأحداث[3].

واتّهمت الحكومة التيارَ الشيرازي رسميًّا باقتحام حرم المعصومة، وذكر مصدرٌ حكومي أنّ هناك خمسة أشخاص ينتَمون للتيّار الشيرازي من بين أحد عشر شخصًا تمّ اعتقالُهم، أحدهم هو المشرف على قناة شبكة المرجعية التابعة للتيّار، وعددٌ منهم من ضاربِي السيوف في عاشوراء في قُم، والبعض الآخر من مجموعة أُخرى كانوا يريدون تأليبَ الوضع وفق اعترافهم؛ ومن ثمَّ تمّ تحميلُ التيّار مسؤوليةَ اقتحام الحرم، فهو: «المسؤول عن الحادث، وأنّ ما يُشاع عن أن تيّارًا آخَر هو المسؤول عن الاقتحام،

(1) خبر اون لاين، واكنش متفاوت آقاى نماينده به تصميم سخت بستن دربهاى حرم حضرت معصومه وامام رضا در روزهاى شيوع كرونا، تاريخ الاطلاع، 29 مارس 2020م. https://bit.ly/3damB7W

(2) القطرة، الشيخ الحبيب يدين اعتداء عناصر الأمن الخامنئية على زوّار السيدة المعصومة عليها السلام، تاريخ الاطلاع: 04أبريل 2020م. https://bit.ly/3bUTtQq

(٣) إرم نيوز، إيرانيون يهاجمون مواقع دينية شهيرة بعد قرار إغلاقها (فيديو)، تاريخ الاطلاع: 05 أبريل 2020م. https://bit.ly/2UJhMuY

عـار عـن الصحّـة»[1].

ويبـدو أنّ النظـامَ وجـدَ مبـرِّرًا كافيًـا لامتصـاص غضـب بعـض القواعـد والمتديِّنيـن بسـبب إغـلاق العتبـات، بإلقـاء تُهمـة الاقتحـام والاحتجاجـات علـى التيّـار الشـيرازي، رغـم أنّ المعارضـةَ فـي بدايـة الأزمـة كانـت مـن رجـال الديـنِ المحسـوبين علـى النظـام نفسـه، قبـل أن تصيـر المسـألة حكوميـة.

وعنـد مقارنـةٍ وجيـزة بيـن المرجعيـة الدينيـة فـي النجـف، ومراجـع الديـن فـي إيـران، نجـدُ أنّ المرجعيـة النجفيـة وإن واجهـت أصواتًـا معارضـة لغلـق العتبـات، إلّا أنّهـا تفهَّمـت غضـبَ النـاس، ومشـاعِرهم المذهبيـة، فلـم تُحـرِّض علـى المعارضيـن، أو تسـعى لتسـقيطِهم مذهبيًّـا وسياسـيًّا، حتّـى عندمـا تمّ اقتحـام العتبة العلوية أو الكاظمية مـن تيّـارات بعينهـا[2]. وقـال آيـة اللّه بشـير النجفـي حينئـذ: إنّ قـرار الغلقَ مـن أجـل الاحتيـاط علـى حيـاة شـيعة الأئمـة، وللمحافظـة علـى مذهبهـم، وطالـبَ بالاستشـفاء بهـم عـن بُعـد[3].

ومـردُّ موقـف النجـف، أنّ المرجعيـة العُليـا هنـاك لا تـرى فتاواهـا أحكامًـا ولائيـة، بخـلاف النُّخبـة الدينيـة فـي إيـران.

وهـذا يُحيلنـا إلـى مسـألةٍ مهمَّـة بخصـوص غضـب السُـلطة الإيرانيـة مـن أولئـك المحتجِّيـن علـى الغلـق الرسـمي للعتبـات، رغـم تفهُّـم النُّخبـة الدينيـة لغضـب كثيـر مـن النـاس، ورغـم معارضـة جماعـة مـن داخـل الجماعـة العلمائيـة للإغـلاق قبـل قـرار الغلـقِ الرسـمي،

(1) وكالـة فـارس، بازداشـتی‌های قـم از عناصـر اصلـی جريـان شـيرازی هسـتند، تاريـخ الاطـلاع: 30 مـارس 2020م. https://bit.ly/3biJ691

(2) راجـع: nrttv : رغـم التحذيـرات مـن كورونـا هكـذا بـدا المشـهد فـي مسـجد الكوفـة، تاريـخ الاطـلاع: 02 أبريـل 2020م. https://bit.ly/2V8WxSz

والأناضـول: الصـدر يرفـض اتهامـه بــ «زيـادة تفشّـي كورونـا» فـي العـراق، تاريـخ الاطـلاع: 02 أبريـل 2020م. https://bit.ly/3aO6cVf

(3) شـفقنا، المرجـع النجفـي: يجـب الاحتيـاط فـي حيـاة شـيعة أهـل البيـت ويمكـن الاستشـفاء بزيـارة الأئمـة عـن بُعـد، تاريـخ الاطـلاع: 21 مـارس 2020م. https://bit.ly/345OwSs

ومـن ثـمَّ فـإنّ غضـبَ السُـلطة ممّـن احتجُّـوا وحاولـوا فتـحَ الضريـح بالقـوّة، محمـولٌ علـى صـدور هـذا الفعـل مـن تيّـار معـروف بمناهضته للولائييـن وقراءتهـم الفقهيـة ونموذجِهـم الحُكْمـيِّ، فاعتبرتـهُ السُـلطةَ عـدمَ مبالاة بقـرار رسـمي صـادر عنهـا، ومحاولـة كسـره وعـدمَ التقيُّد بـه؛ مـا ينـالُ مـن شـرعيتِّها فـي مسـألة شـعائرية مذهبيـة، ومركزيـة لـدى عمـوم التيّـارات الشـيعية؛ واعتبرتـه السُـلطة كذلـك عـدمَ تقيُّـد بالأحـكام الحكوميـة وتقديـم الأوّلـي بالثانـويّ عليهـا، وهـو مـا تعـي السُـلطة مخاطِـرهُ داخـل الجماعـة الشـيعية إنْ تـمّ تمريـره وتغاضـي الطـرف عنـه، حيـث إنّـه لا إجمـاعَ علمائـي لأولويـة الحكومـي علـى الأوّلـي فضـلًا عـن الثانـويّ[1]، فـإذا سُـمِح لهـؤلاء إنفـاذ قراءتهـم الأصوليـة والفقهيـة علـى أرض الواقـع، سـيؤدِّي ذلـك إلـى أحقِّيـة كافَّـة المقلِّديـن للمراجـع المخالفيـن فـي تلـك المسـألة أو غيرهـا، ممّـا يتعلَّـق بالدولـة والسياسـة إلـى إنفـاذ مقولاتهـم المذهبيـة فـي الواقـع، فتفقـد السُـلطة سُـلطتها السياسـية، وهيبتهـا المذهبيـة. لـذا آثـرتْ وقدَّمـت كبـحَ جمـاح هـؤلاء ومعاقبتهـم علـى تفهُّـم مطالبهـم، وعاطفتهـم المذهبيـة، خشـيةَ تضخُّـم الظاهـرة وتعلُّـقَ أصحابهـا، ويـدلّ علـى ذلـك أنّ المحافظيـن أنفسـهم طالبـوا الحكومـةَ بفتـح العتبـات بعـد تلـك الحادثـة بأيّـام قليلـة.

المرحلة الثالثة: تهيئةُ الرأي العامّ لاستئناف الشعائر

فـي هـذه المرحلـة، طالبـت أصـواتٌ محسـوبةٌ علـى المحافظيـن، بفتـح المراكـز الدينيـة فـي البـلاد، وكان فيمـا يبـدو نوعًـا مـن ممارسـة الضغـط علـى الحكومـة، وتهيئـة الـرأي العـام لإعـادة فتحهـا.

وأرسـلَ 266 رجـل ديـن ومنشـد للرئيـس الإيرانـي حسـن روحانـي، يطالبونـه فيهـا بإعـادة افتتـاح الأماكـن الدينيـة فـي ظـلّ أيـام شـهر

(1) فـي الفـارق بيـن الولائـي، والثانـوي، والأولـي، راجـع: علـي حـبّ الله، دراسـات فـي فلسـفة أصـول الفقـه والشـريعة ونظريـة المقاصـد، 514 ومـا بعدهـا.

رمضـان، واعتبَـرت وسـائلُ إعـلام مقرَّبـة مـن المحافظيـن، أنّ هـذه المطالـب «تمثِّـل إرادة الشـعب الإيرانـي»[1]، وطالـب مديـر الحـوزات العلميـة نفسُـه بتقديـم موعـد فتـح الأماكـن الدينيـة.

ويبـدو أنّ الرئيـس روحانـي تفهَّـمَ ضغـوطَ المحافظيـن وخلفياتهـا، فقـال: «إنّ الحكومـة غيَّـرت قرارهـا بنـاءً علـى طلـبِ مديـر الحـوزات العلميـة، وقدَّمـت تاريـخَ إعـادة فتـحِ الأماكـن الدينيـة خمسـة عشـر يومًـا، إلـى الأمـام»[2].

واللافـت أنّـه أُعلـن أنّ تقديـمَ تاريـخ فتـح العتبـات إنّمـا جـاءَ بطلـب مـن مديـر الحـوزات، وهـو مؤشِّـرٌ إمّـا علـى عـدم موافقتـه وحكومتـه علـى مبـدأ الفتـح فـي تلـك المرحلـة، أو علـى الأقـلّ عـدَم تحميلهمـا تبعـات هـذا القـرار، وإمّـا كانـت مقولتُـه بمثابـة رسـالة إلـىَ الجماهيـر أنّ مسـألةَ فتـح العتبـات هـي مسـألةٌ مُتشـابكة وليسـت منحصـرةً فـي قـرار الحكومـة فقـط، بـل هنـاك فواعـل آخـرون يعنيهـم الأمـر، كالنُّخبـة الدينيـة الحاكمـة.

ومـع أنّ مدينتـي قُـم ومشـهد لـم تنضمّـا رسـميًّا للمناطـق البيضـاء حينئـذ، إلّا أنّ روحانـي وتماشـيًا مـع الضغـوط السـابقة، أمـلَ أنْ تنضـمّ المدينتـان سـريعًا إلـى المناطـق البيضـاء، ومـن ثَـمَّ يتـمّ فتـح المسـاجد والعتبـات فـي المدينتيـن[3].

ودافـعَ روحانـي عـن رجـال الديـن إزاءَ موقفِهـم مـن الأزمـة، فقـال: «إنّ حساسـيةَ وهواجـس مراجـع وعلمـاء الديـن للحفـاظ علـى أرواح وصحَّـة المواطنيـن إزاءَ تفشِّـي فيـروس كورونـا، كانـت بالضبـط

---

(1) جاده إيران، جدل حول المطالب بإعادة افتتاح المراكز الدينية، تاريخ الاطلاع: 27 أبريل 2020م. https://bit.ly/2Vlayba

(2) صحيفة همدلي، سئوال از پی سئوال، بی‌هیچ جوابی، تاريخ الاطلاع: 27 أبريل 2020م. https://bit.ly/2RS3xSI

(3) صحيفة كيهان، رئيس الجمهورية: سيتمّ فتح أبواب المساجد وأماكن العبادة وصلاة الجمعة، في المناطق البيضاء، الاثنين 27 أبريل 2020م، العدد 10383.

موازيةً وبذات القدرِ للحساسية والهواجس لدى مسؤولي الشؤون الصحِّية، وهو أمرٌ يحظى بأهمِّية فائقةَ"[1]، وتلك العبارات سيقت في مقام تبريري ودفاعي، ومن ثَمَّ رُبّما يُفهَم منها إدانتُه للنُّخبة الدينية، أكثر ماَ يُفهَم منها التبريرَ والدفاع».

المرحلة الرابعة: استعادةُ المذهبي.. فتحُ العتبات

بعد ضغط المحافظين ورجال الدين على الحكومة لفتح العتبات والمراكز الدينية، وإعادة الحياة في المدن الدينية إلى طبيعتها، قرَّر المسؤولون الحكوميون فتحَ العتبات والمراكز الدينية نهايةَ مايو 2020م، رغم تأكيدهم في بداية الشهر نفسه أنّ العتبات والمراكز الدينية ستظلّ مُغلقةً حتّى يُسمَح بفتحِها من السُلطة الطبِّية المُختصَّة.

وصرَّح المرشد نفسه أنّه لا يتدخَّل بخصوص فتح العتبات، وأنّه: «يتبع الرأي والتشخيص الخبرائي للجنة الوطنية لمكافحة فيروس كورونا»[2]، إلّا أنّه استدرك قائلًا: «لكن ينبغي الالتفات إلى أنّ العبادات والتوسُّل بالله تعالى خاصّةً في شهر رمضان المبارك وليالي القدر تُعَدّ من الحاجات الأساسية والحتمية للمواطنين»[3].

ثمّ لفت الانتباه إلى إمكانية وضع قواعدَ صارمة في حال فتح المراكز الدينية، مؤكِّدًا أنّ: «المؤمنين ومرتادي المساجد سيلتزمونَ بها»[4].

وكان ذلك بمثابة تهيئة للرأي العام بقرار الفتح، وتطمين له بخصوص الاحتياطات الطبِّية، إذْ ردَّد آية الله علم الهدى نفَسَ

(1) كيهان، رئيس الجمهورية: من المؤمَّل إعادة فتح المراكز الدينية مع السيطرة على كورونا، نشر الأحد 26 أبريل 2020م. تاريخ الاطلاع: 27 أبريل 2020م، عدد: 10382.

(2) كيهان، القائد: الغرب فشل فلسفيًا واجتماعيًا وأخلاقيًا في مواجهته لكورونا، السنة الأربعون، العدد رقم 10395، 11 مايو 2020م.

(3) المرجع السابق.

(4) المرجع السابق.

الكلام، فقد أبدى استعدادَ المسؤولين في خراسان وفي القدس الرضوي لاستقبال الزوّار، مع تنفيذ أيّ برامج طبِّية يُحدِّدها المختصُّون[1].

ويبدو أنّ المرشد والنُّخب الدينية مارسوا ضغوطًا على مسؤولي الصحّة؛ ليصلوا إلى صيغة تُنهِي مسألةَ إغلاق المراكز والحوزات الدينية في البلاد. يؤشِّرُ على ذلك ما صرَّح به وزير الصحة سعيد نمكي أنّهم عقدوا اجتماعًا بتوصية من المرشد، لإيجاد طريقة لإعادة فتح المساجد أمام المصلِّين: «لحُسن الحظّ، فقد توصَّلنا إلى حلٍّ مَناسب سيتم الإعلان عنه قريبًا"[2]؛ وتصريح وزير الصحَّة صريحٌ في توصية المرشد بإيجاد حلٍّ مناسب؛ وبناءً عليه، اتّخذت الهيئة الوطنية لمكافحة كورونا يوم 16 مايو، مجموعةَ قرارات، منها فتحُ العتبات آخر مايو، وإقامةُ صلاة عيد الفطر في كافّة أنحاء البلاد، والسماحُ بالتجمُّع يومَ القُدس في المحافظات البيضاء[3]، وبالفعل تمّت إعادةُ فتح العتبات يوم الاثنين 25 مايو، بعد إغلاقٍ دام 70 يومًا.

واشترط قرار فتح العتبات أنْ يتمّ فتحُها لدخول الزوّار ساعةً قَبل الشروق وساعةً قَبل غروب الشمس يوميًا -تمّ إلغاءُ هذا الشرط لاحقًا- مع ضرورة مراعاة كافّة القواعد والإرشادات الصحِّية[4].

ومع ذلك، أبدى آية الله علم الهدى اعتراضهُ على الفتح المشروط

---

(1) خبر اون لاين، انتقاد تند علم الهدى از دولت: محدوديتى كه حرم امام رضا شب بسته باشد و روز باز باشد را با كدام توجيه پزشكى و علمى قائل شديد؟، تاريخ الاطلاع: 01 يونيو 2020م. https://bit.ly/3ccvZpF

(2) وكالة مهر للأنباء، وزير بهداشت خبر داد: جلسه فورى پس از توصيه رهبرى درباره مراسم شب هاى قدر، 12 مايو 2020م. https://bit.ly/2xVNJl4

(3) مهر للأنباء: روحاني: مراسم يوم القدس ستُقام في المناطق البيضاء والطهرانيون سيتظاهرون ركوبًا في السيّارات، نشر 15 مايو 2020م، تاريخ اطلاع: 31 مايو 2020م. https://bit.ly/3eDMMUy

(4) وكالة تسنيم، إعادة فتح أبواب حرم الإمام الرضا (ع) في مشهد +صور، نشر 25 مايو 2020م، تاريخ الاطلاع 28 مايو 2020م. https://bit.ly/3gLbW5h

والمقيَّد للعتبات[1]: «يتواصلُ الناس في السوق، ويتحدَّثون ويتعاملون معًا، ولكن في المرقد يقومُ الجميع بالزيارة وأقصى اتصالٍ بينهم هو الوقوف معًا..، فبأيّ مبرِّرٍ طبيٍ وعلمي يتمّ إغلاقُ المرقدً ليلًا، وفتحُه نهارًا؟»[2].

ثم تطرَّق إلى النقطة المركزية لأسبابِ اعتراضِه، والتي عرقَلت المؤسَّسات المعنية في التبكير بغلقِ العتباتِ، وهي المسألة المالية، فقال: «في هذه المدينة المقدَّسة، خسرت الشركات والفنادق مليارات من التومانات. حيث لا يأتي أحدٌ إلى مشهد، هل نُغلق أبوابَ المرقدِ ونوقِفُ الزيارة؟ للأسف، تمّ تجاهُل المصالح الاقتصادية للمحافَظة ومشاعرِ الناس الدينية»[3].

وهذه المقولة تُبدِي أسبابَ حِرصِ النُّخب الدينية من بداية الأزمة لإبقاءِ العتباتِ مفتوحةً، ثمّ بعد ذلك الدعوة إلى تسريع فتحِها، فـ «المَصالحِ الاقتصادية للمحافظة»، وبالتالي للمسؤَولين في السُلطة في خطر، ومن ثمَّ كانت الدعوات الرسمية للانتقال إلى مرحلة «التعايش مع الفيروس»، وهو ما عبَّر عنهُ وزير الداخلية عبد الرضا رحماني: «يجب أن نتمكَّنَ من التعايُش بسلام مع كورونا، وأن تسيرَ الحياة، وتتمّ الأنشطةُ في المجتمع. يجبُّ أن يحدث ذلك مع الاهتمام والمراعاة الكاملة للبروتوكولات والمبادئ الصحِّية من قِبلِ الشعبَ والمسؤولين"[4].

واستُؤنِف النشاطُ العلمي في الحوزة القُمّية أيضًا بدءًا من يوم

(1) وذلك خلال خطبة الجمعة الافتراضية الثالثة عشرة يوم 29 مايو 2020م.

(2) خبر اون لاين، انتقاد تند علم الهدى از دولت: محدوديتى كه حرم امام رضا شب بسته باشد و روز باز باشد را با كدام توجيه پزشكى و علمى قائل شديد؟، تاريخ الاطلاع: 01 يونيو 2020م. https://bit.ly/3ccvZpF

(3) المرجع السابق.

(4) مهر للأنباء، رحمانى فضلى خبر داد: پيشنهاد بازگشايى مساجد كشور تصويب شد، اطلاع: 01 يونيو 2020م.
https://bit.ly/2X9DF7T

28 مايـو، وقـد أعلـنَ آيـة اللّه الأعرافـي رئيـسُ الحـوزات العلميـة فـي إيـران أنّ عـودةَ دروسِ البحـثِ الخـارج والسـطوح العُليـا تـمّ بعـد التنسـيق مـع المراجـع، والمجلـسِ الأعلـى للحـوزة، ولجنـة مكافحـة كورونـا[1]، ولا ننسـى فـي هـذا السياق مـا صـرَّح بـه روحانـي مـن قَبـل عـن طلـبِ مديـر الحـوزات العلميـة تقديـمَ موعـد فتـح العتبـات.

وحاصـلُ القـول إنّ رأي رجـال الديـن المبكّـر مُنـذ بَدايـاتِ الأزمـة المتعلِّق برفـض إغـلاق العتبـات والمراكـز الدينيـة، ثـمّ رأيُهـمَ بتسـريع وتيـرةِ الفتـح بعد الإغـلاق بفتـرةٍ وجيـزة، تمّ تقديمُـه علـى رأي الخُبـراءَ والمعنييـن، بـلْ رُبّمـا تعـرَّض المعنيـون فـي قطـاع الصحَّـة إلـى ضغـوطٍ مـن أجـل تمريـر تلـك القـرارات، أو الموافقـة عليهـا، ولموقـفِ رجـالِ الديـن أسـبابٌ مذهبيـة، وأُخـرى شـخصية يتـمُ مذهبتُهـا وتديينهـا.

خلاصة:

تخلُـصُ الدراسـةُ إلـى أنّ النُّخبـةَ الدينية الولائية حاولت تعظيمَ مكاسـبها الأيديولوجيـة والسياسـية إبـانَ أزمـةِ كورونـا، مـن خـلال ترويـج نظَريـة المؤامـرة ضـدَّ إيـران، فـردَّدت كثيـرًا على المسـتوى الإعلامـي والمذهبي أنّ الفيـروس تـمّ تخليقُـه بيولوجيًّـا مـن الأمريـكان لاسـتهداف الثـورة «الإسـلامية»، والنمـوذج الحضـاري الإيرانـي.

وفـي نفسِ الوقـت ومـوازاةً مـع مقولـةِ المؤامـرة والتخليـق، دلَّـلَ الولائيـون علـى إخفـاقِ النمـوذج الفلسـفي الغربـي بفشـله فـي مواجهـة أزمـةِ كورونـا، وتمظهُـراتَ هـذا الفشـل تتمثّـلُ فـي إقبـالِ النـاس علـى الضروريـات والحاجيـات الحياتيـة، وكذلـك فـي اشـتباك الدول الغربيـة للحصولِ على المـوارد الطبِّيـة اللازمـة، وبالتالـي لـم يبـقَ أمـام العالـم سـوى النمـوذج الفلسـفي والحضـاري الإيرانـي، الـذي بـدوره يمهِّـدُ الأرضَ لظهـور

(1) وكالـة أنبـاء الحـوزة، حـوزة قُـم العلميـة تسـتأنف دروس البحـث الخـارج والسـطوح العُليـا، تاريـخ الاطـلاع والنشـر: 28 مايـو 2020م. https://bit.ly/2MerOiG

المعصوم لتأسيس حكومة عالمية، ولم يروا في هذا الخطاب تناقُضًا مع ما ردَّدوه من قَبل عنّ تخليق الغرب للفيروس استهدافًا لإيران. لكنّ الملاحظَ أنّ الإمعانَ في تكرارِ النُّخب الدينية لتلك المقولة يؤشِّر على أنّ المعنيَّ بها تلك التكتُّلاتَ الولائية والمذهبية على مستوى الداخل لتمتينِها وتعميق ولائها، وكذلك التيّاراتُ التغريبية التي تروِّجُ للنموذج الحضاري الغربي وفلسفته، لتكميشها واستلاب حُجَجها ومنطقها، وقواعدها. أيّ أنّ تلكَ المقَولات هيَ جزءٌ من معركةِ الداخل ضدَّ التيّارات التَغريبية، وأُخرى مناهضةٌ تُطالب بالحرِّيات ومزيدٍ من الفصلِ بين السُلطات، و«لبرلة» الحياة السياسية والاجتماعية.

كذلك ركَّز رجالُ الدين على المقولاتِ المذهبية والعقدية، كالإيمانِ بالقضاء والقدر، وتحوُّل المحنة إلى منحة، ولم يروا كذلك في هذا الخطاب تناقُضًا مع مقولاتهم الكلامية حولَ نفي الجبر والاضطرار. وربما تؤشِّر طريقةُ تفاعُل النُّخَب الدينية مع أزمة كورونا، إلى تضاؤلِ قُدرتهم أمامَ الحُلول المدنية الفاعلة، والعقلانية، التي تُرضي المجتمع، وتنالُ مقبوليتَهُ بصورة واسعة.

أيضًا فإنّ السُلطات الإيرانيّة لَم تتَغاضَ عن القناعاتِ العقدية والمذهبية أثناءَ الأزمة، فقامت باعتقالِ بعض المُحتجِّين على قرارِ إغلاقِ العتبات، معتبرةً ذلك تهديدًا للقراءةَ الولائية، ونبذًا للحُكمَ «الحكومي»، وتقديم قراءاتٍ مُغايرة لا ترى في الحُكم الحكومي أيَّ إلزام شرعي، سوى باعتبارِه مصلحةً عامّة، وشأنًا دنيويًا لا يرقى لموازاةِ الحُكم الأوّلي والثانوي، لذا سارعَ الولائيون -موازاةً مع التعامُل الأمني- بتعزيزِ حضورهم الفقهي بنفس الأدوات القواعدية والأصولية، فاستدلُّوا بقاعدة التزاحُم، وغيرها من قواعد تُؤصِّلُ لقرارات السُلطة فقهيًا وأصوليًا، وتُفنِّد مقولاتِ المُحتجِّين، المُترَّسين بمقولاتٍ فقهيةٍ ومذهبيةٍ أيضًا.



info@rasanahiiis.com

@rasanahiiis

www.rasanah-iiis.org

